المفكر الاشتراكي كتب المفكر الانجليزي جون ستيوات ميل (إن المبدأ الذي ينظم العلاقات بين الجنسين القائم على إخضاع المرأة لسلطان الرجل واستكانتها لنواهية وأوامره لهو مبدأ خاطئ في جوهره، وفي هذا الخطأ يكمن الخطر عليها والعائق المنيع في طريق تقدم البشرية ورفاهتها ولهذا وجب إحلال المساواة التامة بين الجنسين، وهذه أكثر المشاكل صعوبة لأنه يتعين محاربة الشعور العام الذي رسخت جذوره في نفوس البشر والذي يقول: للرجل على المرأة حق الطاعة وإنهما ليسا متساويين) علما أن البشرية كانت تعبد الربة (عشتروت وايزيس...) قبل أن تعبد الرب منذ أربعة آلاف سنة، وقد سادت العائلة الأمومية التي تقودها النساء مئات آلاف السنين قبل ظهور الملكية الخاصة وانقلاب الرجل... وفي الاقليم تزامن ذلك مع التوراة. وما نشرته من منظورات. المهم إن المرأة الفلسطينية تكسر صدفة دونيتها وتؤكد مساواتها في ساحات الانتفاض الشعبي بما يتجاوز كثيراً المفردات الليبرالية... وبكلمات غرامشي (إن تشكيل شخصية نسائية جديدة هي من أهم القضايا التي يواجهها أي نظام أخلاقي ومدني... لتحقيق النساء طريقة جديدة في استيعاب أنفسهن ودورهن)، وها هي المرأة الفلسطينية تقتحم لحظة كبرى لصناعة التاريخ وتسهم بدورها في صنع نفسها وصنع التاريخ وصنع قاعدتها المنظمة أداة كفاحها الأهم...

ومن المؤكد أن الانتفاض قد دفع الوعي ودفع المجتمع لإطلاق أيدي المرأة للمشاركة في معركة كبرى، سيكون تاريخنا ما قبلها وما بعدها، بل إنها قد تبلور خلال عامين ونصف مئات الكادرات النسوية خبرة وجرأة وثقة بالنفس، وبإنصاف نقول إن كادراتنا النسوية، يقفن في الصف الأمامي... وهناك مشاركة واسعة ورئيسة في جميع مظهرات الانتفاضة من إضرابات وصدامات وتظاهرات وو... ناهيكم عن التمايز في الجمعيات التعاونية والاقتصاد البيتي والخدمات الصحية... الخ، ولا ننسى أبدا الموقف الجماعي للأسيرات اللائي رفضن إطلاق سراح بعضهن واستبقاء البعض الآخر، وفتح البيوت لمئات المطاردين وآلاف الشبان الذين يعرجون على أي منزل عشوائيا إفلاتا من قبضة جنود الاحتلال المدججين بالسلاح والشراسة العنصرية...

وعلى شاشات التلفاز وفي الأزقة والشوارع نرى المرأة الفلسطينية تشمر عن ساعديها لإلقاء الحجارة على قوات الاحتلال وحمل أكوام الحجارة للشباب... إنها لوحة تنضح بالعنفوان والكرامة والتحدي والسوائية... وهذا موضوع تعبوي هام، إذ لا يجب أن نسمح بالغطرسة الذكورية والثقافة الذكورية والتقاليد البالية. هنا الوردة فاقفز هنا. لقد قفزت المرأة على الأشواك وقطعت حقولاً من الألغام وكسرت الكثير من القيود لتتبوأ هذه المنزلة الرفيعة في النضال، وهذا بطبيعة الحال لن يرضي الكثير من الرجال بل هناك كثرة تعمل ليل نهار لفرض النقاب ولباس معين على المرأة واختزالها إلى مجرد ماكينة تفريخ، ودرجة أدنى من الرجل، ومصادرة عقلها وارادتها وحرية اختيارها بفرض وصاية ذكورية عليها، الأب، أو الأخ أو الزوج وحتى الابن، وكأنها منفولية لا عقل لها ولا شخصية قادرة على التصرف، وتكفير تفكيرها وعدم الاعتراف بكفاءتها، ويجن جنون الكثيرين إذا كانت مسؤولتهم في العمل أو... امرأة...

ومواقفنا واضحة والتعبئة بها جارية على قدم وساق، كما أن جهودنا لا تتوقف لبناء قاعدة نسوية منظمة، هي الجذع الحامل لأفكارنا التحررية والثورية والمساواتية...